

جماليات الحوار في الأقصوصة القرآنية حوار (المؤمن وصاحب الجنين) أنموذجاً

د. جواهر بنت عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ (*)

مستخلص البحث:

يعد الحوار عنصراً أساسياً في القصة القرآنية، لأنه يحقق عدة وظائف مهمة؛ كتصوير الشخصيات، وتطوير الأحداث، وإيصال الهدف والعبرة للمتلقي، والاستفادة من قصص الأمم الغابرة، وإثبات صدق النبوة، وتثبيت القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية.

لذا سعى البحث لدراسة هذا النوع من الحوار القصصي من خلال اختيار أنموذج من تلك النماذج، وهو نموذج لقصة قصيرة هادفة، لما لها من تأثير قوي على متلقيها، حيث تمثل الصنفين البشريين المتكررين عبر العصور، وهما: نموذج المؤمن الفقير الصابر الشاكر، ونموذج الغني الكافر المتكبر الجاحد؛ ومن ثم تحليل الحوار الذي دار بينهما، من حيث الشكل والمضمون، لأنه يعبر عما تختلج به نفوس الشخصيات المتحاورة. وتحوي الدراسة: مقدمة، وخاتمة، وثلاثة مطالب: المطلب الأول ويعنى بإيضاح مفهوم القصة، والحوار، وأهمية الحوار وسماته في القصة القرآنية. والمطلب الثاني يتناول أنواع الحوار في أقصوصة صاحب الجنين. أما المطلب الثالث، فيدرس الخصائص الفنية للحوار في هذه الأقصوصة، ويحلل جمالياتها.

- وقد اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي للأقصوصة القرآنية؛ للكشف عن سماتها الموضوعية والفنية التي تضمنها الحوار في قصة صاحب الجنين.

الكلمات المفتاحية للبحث: الأقصوصة القرآنية، الحوار، المؤمن الصابر، الكافر المتكبر، الجنين.

(*) أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، جامعة الأميرة نوره بنت

عبدالرحمن بالرياض - المملكة العربية السعودية

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم الزاخر بالكنوز البيانية والبلاغية والفنية التي لا تنفد مهما نهل منها طلاب العلم والحكمة، وعشاق البحث والجمال. والخطاب القرآني يحفل بنماذج راقية وبديعة من الفن الحواري، وذلك لأجل تقرير قيم دينية روحية، وخلقية سلوكية، في إطار من نفحات الجمال الفني المؤثر.

ولا ريب أن الأسلوب الحواري يُعدّ من ضرورات الكلام في مستواه النفعي الذي يتواصل به الناس، ومن ثمّ اكتسى أهمية وقيمة جمالية بالغة فطن لها أهل اللغة والأدب ونقده، بسبب ما ينطوي عليه من مهارات تحقّق التأثير والإقناع والتجاوب والاستمالة.

لذا يرمي هذا البحث إلى تذوق جمالية الأداء في الأسلوب الحواري للقصص القرآني، من خلال التطبيق التحليلي على إحدى قصصه العديدة العميقة؛ وهي قصة المؤمن وصاحب الجنتين؛ وذلك على اعتبار أن الحوار مقوم سردي شأن المقومات السردية الأخرى، بل قد يعدّ أقواها تأثيراً.

لاسيما أن هناك اتجاهها معاصراً قويا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية لدراسة وتحليل الأقصوصة الفنية والقصة الأدبية القصيرة جداً، فكيف بها إذا كانت من قصص القرآن المعجز في بيانه وأسلوبه؛ كما أن هناك حرصاً عاماً في جميع المجالات الإنسانية على دراسة الحوار وفنونه وأساليبه وتأثيره ومن ثمّ تطبيقه؛ فمن باب أولى أن نتعلم أصول هذا الفن من كتاب الإسلام الأول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من لدن حكيم عليم.

وعليه يتعيّن علينا أن ننطلق في هذا البحث من الإشكاليات الآتية:

ما طبيعة الحوار القصصي في الخطاب القرآني؟ وما هي فاعليته التواصلية؟ وكيف تتراءى خصائصه الأسلوبية؟ وفيم تتحدّد وظيفته الجمالية؟

وتشمل خطة البحث: مقدمة، وخاتمة، وثلاثة مطالب: المطلب الأول: مفهوم

كلّ من القصة والحوار:

المحور الأول: مفهوم القصة. المحور الثاني: مفهوم الحوار. المحور الثالث:

أهمية الحوار في القصة القرآنية. المحور الرابع: سمات الحوار في القصة القرآنية.

المطلب الثاني: أنواع الحوار في أقصوصة صاحب الجنتين:
المحور الأول: الحوار الخارجي (الثنائي الجهري). المحور الثاني: الحوار الداخلي (الذاتي الفردي).
المطلب الثالث: فنية الحوار في أقصوصة صاحب الجنتين: المحور الأول: جماليات مشهدا البداية والخاتمة في الأقصوصة. المحور الثاني: الخصائص الفنية للحوار في هذه الأقصوصة.
وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي للأقصوصة القرآنية؛ للكشف عن سماتها الموضوعية والفنية التي تضمنها الأسلوب الحوارى في قصة صاحب الجنتين.

والله خير معين وموفق.

المطلب الأول: مفهوم كل من القصة والحوار:

المحور الأول: مفهوم القصة:

تدور معاني القصة لغة: حول مفاهيم: الحفظ والتتبع والإخبار، حيث يقال: قصصت الرويا على فلان، إذا أخبرته بها^(١). وهي مشتقة من قص الكلام أو الإخبار به ونحوهما، فيقال: يقصها قصا، أي: تتبعها فرواها^(٢).
أما مفهوم القصة اصطلاحا: فهي وسيلة للتعبير عن الحياة، أو قطاع معين من الحياة، يتناول حادثة واحدة، أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي، ولا بد أن يكون لها بداية ونهاية^(٣).

إن فالقصة القرآنية حسب المفهوم اللغوي والاشتقاقي والاصطلاحي: هي وسيلة من وسائل الدعوة والتعبير القرآني عن طريق سرد ومتابعة الآثار، والتنقيب عن أحداث وقعت في الزمن الغابر نسيها الناس، أو غفلوا عنها لتقدم زمانها، وتتسم بالتماسك السردى بين أجزائها، كما يتوجب أن يكون لها بداية وخاتمة، وغايتها العظة والعبرة.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حور).

(٢) معجم ألفاظ القرآن، مادة (قصص).

(٣) انظر: القرآن والقصة الحديثة، محمد كامل حسن، ص ٩

الخصائص الفنية التي تتميز بها القصة القرآنية:

أولاً: تنوع طريقة العرض تبعاً لتنوع الأغراض، وتنوع الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق، وأكثر القصص القرآني يعتمد الحكاية أو الرواية لينتقي الأحداث بما يحقق الهدف وينسقها في إطار فني لا يخرجها عن الواقع.

ثانياً: يعتمد القص القرآنية على الأسلوب التصويري المتلائم مع أحداث كل قصة.

ثالثاً: عدم التقيد بالسرد القصصي في كل الأحوال بل حسب الغاية من كل قصة.

رابعاً: اختلاف موقع المفاجأة أو نهاية الحدث حسب زمان ومكان ونوع القصة^(١).

النص القصصي القرآني موضوع الدراسة:

أقصوصة صاحب الجنين، وهي القصة الثانية في سورة الكهف: قال الله تعالى في محكم كتابه العظيم^(٢): ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُئِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ

(١) انظر: قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص ٤٧-٤٨

(٢) سورة الكهف: "الآيات ٣٢ - ٤٤"

يُنصَرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴿﴾.

المحور الثاني: معنى الحوار وأهميته:

الحوار في اللغة: هو الحور وهو الرجوع من الشيء إلى شيء، والمحاورة مراجعة الكلام في التخاطب، ومعنى يتحاورون: أي يتراجعون ويتجادلون^(١). ويأتي أيضا: بمعنى: التجاوب^(٢).

أما المعنى الاصطلاحي للحوار فهو: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، دون أن يستأثر به أحدهما عن الآخر، ويحسن فيه تجنب الخصومة والتعصب الأعمى للرأي^(٣).

ورغم أن القصص القرآني زاخر بالحوار الهادف المتعدد المتنوع؛ إلا أنه لم يرد ذكر الحوار في القرآن الكريم لفظا إلا (ثلاث مرات) فقط، اثنتان منهما وردتا في قصة صاحب الجنتين وهما: الآية: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)﴾^(٤).

والآية الأخرى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)﴾^(٥).

ووردت مرة واحدة في قصة المرأة التي تشتكي إلى الله من زوجها في سورة المجادلة: ﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ النَّبِيِّ تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا^٦ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٦).

ومن ذلك تأتي أهمية قصة صاحب الجنتين: لاتكاء بنائها الفني على فن الحوار، ولذكر لفظ الحوار فيها صريحا ومكررا دون سواها.

وتبرز أهمية الحوار بأنه جزء مهم من الأسلوب التعبيري للقصة، وهو من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كان من

(١) لسان العرب، مادة (حور)

(٢) (مختار الصحاح) ص ١٦١

(٣) انظر: فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، ص ١١

(٤) سورة الكهف، الآية (٣٤)

(٥) سورة الكهف، الآية (٣٧)

(٦) سورة المجادلة، الآية (الأولى)

أهم الوسائل التي ترسم شخصيات القصة، والحوار المعبر الرشيق سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه^(١).

ويعد الحوار من العناصر الحيوية في القصة فهو يضيء عليها حركة تكشف عن الصراع في بواطن الشخصيات، وتعرض من خلاله حجج المخالفين، وهو من عوالم التشويق لما فيه من تلوين الأسلوب، والحوار عنصر بارز في كثير من قصص القرآن التي تتعدد فيها الشخصيات ويظهر فيها الجدل والمحاجة^(٢).

ولعل أهم دور يلعبه الحوار إلى جانب تطوير الحدث هو البوح بعواطف ومشاعر الشخصيات في القصة؛ فعن طريق الحوار تعلن الشخصية عن نفسها، كما يمكن عن طريقه ربط شخصيات القصة برباط واحد مما يساعد على تكثيفها وإبرازها كوحدة فنية، ولا بد أن يكون الحوار ملائما للشخصية ودالا دلالة صادقة على حقيقتها، ومن وظائف الحوار في القصة انه يكسب السرد طابع الحيوية والتأثير^(٣).

المحور الثالث: أهمية الحوار في القصة القرآنية:

يعدّ الحوار عنصرا أساسيا في القصة القرآنية، ويجري الحوار بين شخصيات القصة معبرا عن المعنى المراد مشيرا إلى بعض ما ترمز إليه القصة من أهداف، والحوار يبعث الحياة في القصة القرآنية ويجعلها أكثر تعبيرا عن المعنى المقصود، ولا يمكن لأسلوب العرض التقريري أن يغني عن الحوار في بعض المواقف، فهو أداة التعبير المباشر عن الشخصية، والحوار يوضح ملامح الشخصية الإنسانية ويعبر عن أسلوبها وطبيعتها ويكشف خفايا تلك الشخصية من حيث الاستعدادات والانفعالات،

ويجري القرآن الكريم الحوار على لسان شخصيات قصصية في جدالهم ونقاشهم، في أسلوب متنوع، مختلف الجمل والفقرات، باختلاف المواقف القصصية^(٤).

(١) انظر: فن القصة، يوسف نجم، ص ١١٧

(٢) انظر: خصائص القصة الإسلامية، مأمون جرار، ص ٨٣

(٣) انظر: القصة في أدب الجاحظ، عبدالله باقازي، ص ٩١

(٤) انظر: المدخل إلى علوم القرآن: محمد فاروق النبهان، الفصل السادس عشر: القصة القرآنية،

لأن الحوار في قصص القرآن هو أسلوب قرآني يحكي محاوراة كلامية بين طرفين، أو يخبر عنها هادفاً إلى بيان معاني إسلامية مقصودة ومحددة^(١). والحوار القصصي القرآني متعدد الأساليب، فهناك من الحوار ما يفيد معنى التهديد والوعيد، وهناك ما يفيد معنى الازدراء والاستخفاف وهناك ما يفيد معنى التلقين والتقرير، وهناك ما يفيد معنى النصيح، أو الاعتراف. والحوار في القرآن متعدد الجوانب، فقد يخاطب الإنسان نفسه ويحاورها في نوع من أنواع التعبير عما يجيش في النفس من خواطر، لتفسير بعض المواقف، وغاية الحوار في كل ذلك تقريب الأفكار وتوضيح المعاني وإثراء السامع بالحجة وتمكينه من الوصول إلى الحقيقة، والإجابة عن طريق الحوار إلى ما يجول في ذهنه من تساؤلات وشكوك، ويتضمن الحوار في معظم الأحيان ما يراد أن يصل إلى السامع من إقرار مبادئ الإيمان، ومن انتصار الخير على الشر، ومن الاعتراف بنعمة الله وشكره والتخويف من عقابه.

المحور الرابع: سمات الحوار في القصة القرآنية:

لعل أهم ما يميز به الحوار في القصة القرآنية عن سواه، ما يلي:
أولاً: الإقناع العقلي: وهذه هي خصوصية الحوار، فالحوار وسيلة للإقناع، وربما يعتبر من أهم وسائل الإقناع، ولهذا اتجه الحوار إلى مخاطبة العقول وطرح التساؤلات العقلية التي يمكن أن يثيرها العقل، وبخاصة في القضايا التي تتصل بالعقيدة والإيمان،

وإذا لم يحقق الحوار في بعض المواطن أغراضه بطريقة مباشرة فإنه على الأقل يساعد العقل على تلمس بعض الحقائق الإيمانية التي لا تدرك إلا بالذوق الإيماني وصفاء النفس وطهارة القلب ونقاء الفطرة، والمنهج العقلي في القرآن واضح وبيّن، ويخاطب القرآن العقل البشري، وينيط به مهمة التفسير والفهم، ويجعل المخاطب الموثوق بحسن إدراكه وعمق فهمه والعقول السليمة تستجيب لمنهج القرآن في الحوار، لأن القرآن الذي يخاطب العقول لا يمكن أن يقرر

(١) انظر: دراسة نصية أدبية، في القصة القرآنية، د. سليمان الطراونة، ص ١٦٩

حقائق منافية للعقول والقصة القرآنية هي إحدى أدوات القرآن للإقناع والتأثير^(١).

ثانياً: يتميز الحوار القصصي القرآني بسمة خاصة وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين: لأننا في القصص القرآني لا نجد فرصة أبداً نفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ولها منطقتها وتفكيرها^(٢).

لذا يعدّ الحوار سمة من سمات الوحدة الفنية في القصة القرآنية إذ يعمل على إيضاح الفكرة وعرض الموضوع، وهو وسيلة لبلورة الهدف الذي من أجله سبقت القصة^(٣).

فهو له مقصد ديني في الإخبار عن الأمم الماضية عندما يكون الحوار شبيه عقلي يميل إلى المجادلة غير القصصية في حين يجعل المشاهد حاضرة شخصية قادرة على ملء الفراغات التي تقع في أثناء الحوار إذا كان الحوار قصصياً^(٤).

إذ يشكل الحوار بين الشخصيات في القصة القرآنية المشهد كله حاضراً مشخفاً يملأ الأسماع والأبصار بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه^(٥).

ثالثاً: تأثير اللغة النفسي في المتلقين: لأن مفردات القرآن متميزة في قوة تأثيرها، وفي دقة تعبيرها، وفي إحداث التأثير المطلوب منها، ولو استبدلت لفظة قرآنية بأخرى لضعف التأثير واختل المعنى، وترهلت العبارة، ومن اليسير علينا أن ندرك عند قراءتنا للقرآن أثر اللفظة القرآنية في إحداث التأثير النفسي؛ ولو حاولنا أن نعيد كتابة أية قصة من قصص القرآن، أو استبدال لفظة بأخرى من ألفاظ الحوار؛ لفقدت هذه القصة كل تأثير، ولكانت مملة، لأن القصة معروفة، واللفظة القرآنية هي أداة التعبير المؤثر، حتى أن السامع عند ما يسمعها يظن أنه يسمعها لأول مرة، ويتأثر بها^(٦).

(١) انظر: المدخل إلى علوم القرآن: محمد فاروق النبهان، الفصل: ١٦: القصة القرآنية، ص ٢٧٨

(٢) انظر: القصص القرآني، في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، ص ١٢٩

(٣) انظر: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، د. محمد حسين الدالي، ص ٢٤٥

(٤) انظر: دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، د. سليمان الطراونة، ص ١٦٩

(٥) انظر: القصص القرآني، عبدالكريم الخطيب، ص ١٢٤

(٦) انظر: الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، د. عبدالرؤف مخلوف، ص ٣١٠-٣١١

واللفظة المفردة ليست لها قيمة متميزة إلا في إطار المكان الذي جاءت فيه من النظم والتركيب، ولو تتبعنا بعض الكلمات القرآنية لاكتشفنا عظمة النظم المؤثر. إن كل كلمة مؤثرة، ولا تغني عنها لفظة أخرى، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني، الذي أجمع عليه معظم علماء البلاغة القرآنية الذين رأوا أن النظم هو روح تسري في جملة الكلام وليست في جزئياته فحسب، لأنهم يرون أن ذلك أحكم في إيضاح المراد، وأد تحقيق في الإبادة عن المطلب، وأبرع في نظم الكلام.

والقصة القرآنية في شخصيتها وفي الحوار الذي يجري على لسان تلك الشخصيات هي أداة من أدوات الإقناع اللغوي والنفسي، ولا تختلف من حيث الأثر عن الآيات الأخرى التي تقرر فيها مبادئ العقيدة بطريقة مباشرة، ونلاحظ أن شخصيات القصة من خلال الحوار تنطق بما ينسجم مع دعوة الأنبياء في هداية البشر وإرشادهم إلى طريق الخير وتدعيم قيم الفضيلة في المجتمع الإنساني^(١).

المطلب الثاني: أنواع الحوار في قصة صاحب الجنين:

يغلب الحوار على هذه القصة القرآنية القصيرة أكثر من بقية العناصر الأخرى، حيث تتسم فنيا بأنها قصة حوارية، يمثل السرد مساحة صغيرة من لغتها، والحوار فيها نوعان: حوار خارجي، وحوار داخلي؛ فالحوار الخارجي يتمثل في خطاب الأشخاص لبعضهم البعض، وأما الداخلي: فهو الحوار بين الشخص وذاته.

ومن الواضح، أن تنوع الحوار يضيف عنصرا جماليا على الأقصوصة. فضلا عن أن السياق القصصي الذي يفرض هذا التنوع في الحوار، يضخم من عنصر الجمال الفني القصصي المؤثر.

المحور الأول: الحوار الخارجي (الثنائي التناوبي العلني):

وهذا الحوار هو الأكثر تداولاً في النصوص القصصية، ويدور بين شخصيتين أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة، ويطلق عليه الحوار

(١) انظر: المدخل إلى علوم القرآن: القصة القرآنية، محمد فاروق النبهان، ص ٢٧٩.

التناوبي^(١)، أي الذي تتبادل فيه الحديث شخصيتان أو أكثر، بطريقة مباشرة، إذ أن التناوب هو السمة الإحداثية الظاهرة عليه، وتربط المتحاورين وحدة الحدث والموقف. ويرتبط وجود الحوار الخارجي بالبناء الداخلي للعمل القصصي، معطيا إياه مرونة وتماسكا واستمرارية^(٢). ويكثر في هذا النوع من الحوار مفردات: قال وقلت، وسأل وأجاب، وما أشبه ذلك^(٣).

وهو حوار الأشخاص المسموع من بعضهم لبعض، المتداول بين بطلي القصة، حيث يظهر لنا في هذه الأقصوصة القرآنية حوار جدلي تبرز فيه الخلافات في الرأي وانفعالات المشاعر وتباين المواقف بين كافر ومؤمن فقير، حتى يبلغ اختلافهما في الحوار قمته، مما يرسم الشخصيات أمامنا حتى يحولها إلى نماذج بشرية من نوعها، تتكرر في كل زمان ومكان في مواقف متشابهة، إنه هذا الحوار الذي دار بين الغني المتعطرس والفقير المؤمن:

﴿ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) ﴾^(٤).

فيتجلى لنا من هذه الآيات اشتمالها على حوار خارجي؛ حيث يخاطب البطل الكافر، البطل المؤمن بهذه الأفكار، التي تباهى بها من أمثال قوله ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَمَا أَظُنُّ نَفَرًا ﴾؛ فمن الطبيعي إن التفاخر يتطلب كلاما (خارجيا) موجهها إلى الآخرين حتى يحقق دلالته الواضحة.

كما إن الرد على العنجهية يتطلب أيضا كلاما (خارجيا) موجهها إلى الآخرين، حتى يحقق دلالته الإيمانية عند البطل الساكر، ومن ثم تبادل الكلام بين الطرفين، وهذا ما يسوغ لنا صياغة الحوار الخارجي في قصة صاحب الجنتين: حيث يرد عليه صاحبه الفقير الصابر متعجبا ومستنكرا:

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ

(١) انظر: فرمان روائيا، فاطمة جاسم، ص ٤٩

(٢) انظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، عبدالسلام فاتح، ص ٢١

(٣) انظر: دينامية النص، تنظير وإنجاز، د.محمد مفتاح، ص ١١٥

(٤) سورة الكهف، الآيات ٣٤ - ٣٦.

جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّ أْنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) .

وأثناء هذا الحوار الجدلي الخارجي المتكرر بينهما ؛ يتخلله (سرد) أي: تدخل من النص القرآني وتعقيب على ما جاء في قول الكافر في آية: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾، فهذه الآية القرآنية السردية هي تعقيب النص على الموقف المذكور، أي: أن الحوار الخارجي قد انتهى بين المؤمن والكافر بغير اقتناع أحدهما بموقف الآخر.

ففي هذا المشهد الحوارى الخارجي الجدلي تطرح قضية فكرية مختلف عليها، ويظهر فيها طرفان، ثم تدور معركة حوارية تنتهي بنتيجة انتصار موقف أحدهما على الآخر؛ ففي المشهد الأول كان الغنى البطر طرفاً أولاً معتداً بماله وولده وبزعم الغلبة له في الدنيا، بل وحتى الآخرة إن تمّ البعث، على الطرف الآخر وهو الفقير المؤمن المعتمد على الله حق الاعتماد المتمسك بإيمانه في السراء والضراء، وبهذا ينتهي الحوار الخارجي العلني وينتهي معه المشهد الأول من الأقصوصة.

المحور الثاني: الحوار الداخلي: (الفردى، الأحادي، الصامت):

وهو الحوار مع الذات، أو مخاطبة النفس، ويطلق عليه مصطلح (مونولوج) ويعني (أن تتحدث الشخصية مع نفسها، وتكشف خبايا قلبها صراحة، بصدق وحرية كاملة)^(١). أو (أن تجعل العقل يتحدث مع نفسه)^(٢).

كما يطلق على الحوار الداخلي القصصي مصطلح (النجوى)، والفرق بينه وبين (المونولوج) هو في علاقتهما بحوار الشخصية القصصية بحيث أنها تفكر لوحدها في المونولوج بينما تفكر بصوت مسموع في المناجاة^(٣). والغرض من هذا النوع من الحوار القصصي أن ينقلنا إلى الحياة الداخلية لتلك الشخصية التي

(١) السرد في المقامات النظرية، هيرش محمد أمين، ص ١٧٤

(٢) نظرية الأدب، رينيه ويلك، أوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي، ص ٢٩٣

(٣) انظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، ص ٢٠٩

يدور حولها الحدث دون تدخل بالشرح أو التعليق؛ لأنه يعبر عن خاطر في مرحلته الأولى لحظة وروده إلى الذهن^(١).

فليس أصدق من كلام النفس في التعبير عن مكوناتها ودخالها، وليس أقوى منه في التأثير على السامع أو المتلقي أيضاً، لأنه حديث صريح، يكشف المخبوء بلا حرج أو مواربة؛ وهذا المخبوء قد يكون بسبب الخوف أو الحياء أو المكابرة أو ملابسات أخرى تحول دون التصريح به؛ وبذلك يضاف إلى فائدة الصراحة فائدة الكشف عن مجهول مخبوء.

ولما كانت النفس الإنسانية هدفاً رئيساً في الخطاب القرآني للهداية والعظة، كان هذا اللون من الخطاب ذا أهمية مضاعفة في هذه القصة، وذلك لانسجامه مع الهدف الديني العام من ناحية، وتناسقه مع هدف القرآن العام من إيراد القصص من منظور آخر.

ونلاحظ أن (الحوار الداخلي) في هذه الأقصوصة المعبرة ينحصر في (بطل واحد) وهو الثري المتعطر صاحب الجنتين والنعم الإلهية المتنوعة العديدة الممتدة، فنجد أن هناك (عدة حوارات داخلية) قد وجهها إلى نفسه، وإن كلاً منها ينطوي من حيث جودة أسلوب صياغة مثل هذا الحوار على مسوغات قوية، تتضح على النحو التالي:

الحوار الداخلي الأول: يتمثل في قول الغني البطر: ﴿ قَالَ: مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا! ﴾ حيث يبدو أن هذه الجملة الحوارية تدخل في الحوار الذاتي وليس الخارجي، ولذلك عدة تعليقات:

التعليق الأول: أنه من الواضح أن مثل هذا القول يتطلب أن يحاط بنوع من الإخفاء، نظراً لعدم انطوائه على يقين ثابت ببقاء الجنتين الدنيويتين سالمتين مدى العمر! فإن كل ما تنبته الأرض، معرض لمختلف الآفات التي تأتي على النباتات، وهذه حقيقة معروفة.

لذا فإن إبراز ما يغير هذه الحقيقة إلى كلام مسموع، يعرض صاحبه إلى السخرية أو التشكيك بقيمة كلامه مادام لا ينطوي على حقيقة ثابتة، وهو ما

(١) انظر: القصة السكيولوجية، ليون إيدل، ترجمة: محمد السمرة، ص ١١

يجعله مضطرا للتكتم على مثل هذه الأفكار بداخله، حتى يجنب نفسه أية إهانة اجتماعية تلحق به.

ويضاف إلى ذلك، بأنه ليس هناك ما يشكل ضرورة لإبراز تلك الأفكار المذكورة ما دامت غير متصلة بعنصر التفاخر.

بل يبدو لنا صاحب الجنتين وهو شخصية متكبرة لا يعنيه إلا بإبراز أمجاده الموهومة التي يتشبث بها كي يكتسب بهرجا اجتماعيا زانفا يحقق من خلاله إشباع ذاته المغرورة. وقد حقق هذا الإشباع فعلا عندما تباهى بجنتيه وبعشيرته معا حينما قال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤) ، وحينئذ لا ضرورة لأن يقرن ذلك بافتخار آخر لم يتأكد منه عقله تمام التأكد، ونعني به: بقاء الجنتين سالمتين إلى الأبد!

إذن: مجرد كون صاحب الجنتين غير مطمئن إلى دوام ملكه، يشكل مسوغا قويا لأن يحتفظ بأفكاره داخل نفسه.

والمسوغ الثاني هو: أن إبراز أفكاره المذكورة، يعرضه للاستهزاء والسخرية.

أما المسوغ الثالث فهو: أن ديمومة الملك لا يتصل مباشرة بقيمة التفاخر، ما دامت القيمة الفعلية منحصرة الآن في وجود هذا الملك في الزمن الحاضر، وليس في مستقبل وجوده.

فنلحظ وجود ثلاث مسوغات فنية، وراء صياغة الحوار داخليا مع ذات البطل الكافر، في جملة: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥).

وفائدة هذا النمط من الحوار الذاتي إنما يعبر عن الحياة الباطنية للشخصية، حيث توظفه للتعبير عما تحس به إزاء مواقف معينة.

أما الحوار الداخلي الثاني الذي أعقب الحوار السابق، وهو هنا حوار الغني مع ذاته: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾؛ هذا الحوار يعد من حيث تعليل ضرورة الاحتفاظ بسريره - واضحا كل الوضوح؛ فالتشكيك بقيام الساعة، يجسد وسوسات داخلية، تفرض على صاحبها أن لا يجهر بها، بل يحتفظ بها لنفسه، ما دامت لا تنطوي على يقين ثابت، وما دامت ستقابل بإنكار جماعي شديد؛ فكل ذلك يشكل مسوغا لأن يعد هذا الحوار داخليا سريريا، وليس جهريا معلنا.

وكذلك الحوار الذاتي الثالث: الذي يقول فيه المتشكك المتكبر: ﴿وَلَيْنُ رُدُّتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾: حيث نلاحظ أنه يلقي الضوء على الحوار السابق من جانب، كما أنه يحتفظ بنفس المسوغات التي تفرض على صاحب الجنتين، أن يبقي أفكاره الممقوتة داخل نفسه، من جانب آخر. لأن إنكار قيام الساعة، لا ينطوي على يقين ثابت في ذهن الشخصية المعاندة كصاحب الجنتين.

يدلنا على ذلك أن صيغة الحوار الثالث ﴿وَلَيْنُ رُدُّتْ إِلَى رَبِّي﴾ تتضمن تشكيكا بذلك الإنكار؛ فلو كان صاحب الجنتين متيقنا من صحة أفكاره المنحرفة التي أنكرت قيام الساعة، لما قال بتردد: ﴿وَلَيْنُ رُدُّتْ﴾، وهذا يعني انه غير متيقن من البعث بإنكاره الساعة، بقدر ما هو متشكك، شأنه في ذلك شأن سائر المرضى الذين يقعون في ظلمة أعماقهم الجاهلة ولا يرون نور الحق! من أجل ذلك فإن الاحتفاظ بمثل هذا التشكيك داخل أغوار النفس بدلا من الجهر به، يشكل مسوغا قويا لإبقاء تلك الأفكار حبيسة في أعماقه، لذا فهي من حيث الصياغة اللغوية الشكلية للأقصوصة تعد حوارا داخليا يتحدث به المرء مع ذاته فحسب.

وهكذا، نجد أن هذا الحوار الثالث تضمن دلالتين فئيتين: أحدهما هي: إلقاء الضوء على الحوار السابق له، والثانية هي: توضيح السبب وراء صياغته حوارا داخليا بدلا من الحوار الخارجي.

أما الحوار الداخلي الرابع والأخير: الذي وجهه صاحب الجنتين لنفسه ويحمل النتيجة النهائية؛ هو قوله مفجوعا بطعنات الندم: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

والمسوغ القوي لصياغة هذا الحوار (داخليا) يتضح حينما ندرك بان الندم على موقف خاطئ، يتطلب عدم الجهر به، وبخاصة أن صاحب الجنتين في حوارهِ الداخلي الأول ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ قد أدرك سفاهة تصوره، مثلما أدرك ان التشكيك بقيام الساعة وما وراءها ينطوي على سفاهة أفدح وذلك في حوارهِ الثاني والثالث، وكل ذلك يضطره حين يتكشف له الواقع إلى أن يضاعف إحساسه بخطأ أوهامه السابقة، ومن ثم يدفعه إلى أن يحتفظ بسرية أفكاره، متمثلة في ذلك الحوار الذاتي النهائي المرير ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

نستنتج من الحوارات الأربعة السالفة: بأن المسوغات الأسلوبية لصياغتها حوارا داخليا، قد اتضحت أمامنا، مما تعمق من تدوينا لجمالية هذا النص القصصي الحوارى بما ينطوي عليه من أسرار أسلوبية تستحق أن نتوقف عندها بهذا التفصيل.

ويكتسب هذا اللون من الحوار الذاتي جانبا آخر من الأهمية فوروده في نهاية المشهد الأخير، بمثابة ختام أو تعليق أو نتيجة للمقدمة السابقة، التي كانت عبارة عن حوارات علنية مع الآخر، ونقاشات مفعمة بالحجج والانفعالات والمد والجزر في الأفكار، فأصبحت الخاتمة أشبه ما تكون بحال غريق تلاعب به الموج العاصف، ثم وصل أخيراً إلى الشاطئ سالماً، لكن اليابسة قد تكون سلاما ونعيما، أو سوء عاقبة وجحيما.

ولنقرأ قوله سبحانه: ﴿ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٤٢) (١).

فهنا يقر المحاور المتكبر بذنبه ويعلن ندمه الشديد على كفره وكبره، بيد أن ندمه هذا كان بعد فوات أوان الندم وانتهاء فترة الامتحان؛ حيث ختم الله تعالى هذه القصة الإنسانية الموجزة بنتيجة كل عمل سيء، موجهها خطابه للجميع: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (٤٤) (٢).

وهكذا يتم الحوارين بنوعيهما الخارجي والداخلي، اللذين صاغهما القرآن البليغ المعجز، في أدق أسلوب حوارى معبر عن الحكمة من هذه الأقصوة المشوقة الهادية إلى الصراط القويم.

المطلب الثالث: فنيّة الحوار في أقصوة صاحب الجنّين:

المحور الأول: الاختزال القصصي البديع

في مشهدي المقدمة والخاتمة وخدمتهما للحوار:

في هذه القصة القرآنية القصيرة التي يشكل الحوار طابعا طاغيا عليها، هناك أيضا ركانز أخرى قام عليها بناء القصة فنيا وجماليا، وهما المشهد الأول،

(١) سورة الكهف: (الآية: ٤٢).

(٢) الكهف: الآيتان (٤٣، ٤٤).

والمشهد الأخير، أي المقدمة والخاتمة، وبراعة طريقة القرآن الكريم في التركيز عليهما واختزال هدف الأقصوة فيهما.

ففي بداية هذه القصة القصيرة نرى مشهدًا صامتًا خاليا من الحوار لكنه يصور الجنّتين تصويرًا حسيًا بديعًا؛ وهو أوّل ما تبادرنا به تلك الأقصوة القرآنية من تفصيلٍ لمظاهر النعيم التي تنوعت وتعددت؛ ألا وهو منظر المحاصيل الزراعية التي تدرّ على مالكها الجاحد عدة مصادر للرزق؛ حيث أشجار الأعناب، والنخل الحافّ بالجنّتين، والزرع المنتشر بينهما، ثم يُضيف القرآن الكريم جملةً أخرى تُسهّم في رسم هذه الصورة الغنية الضخمة لحجم الرزق الذي آتاه الله تعالى صاحب الجنّتين العظيمتين، وتتمثل في عبارة ﴿وَلَمْ تَظَلْمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ وهي تعبير قرآني بليغ موجز عن المحاصيل الوافرة الجيدة التي درّت بها الجنّتان الخلابتان.

ثم تأتي صورة تفجير النهر لتُضفي طابع الحركة والحيوية؛ للجمال الأخاذ الذي تُثيره في أذهاننا صورة الجنّتين كما يرسمها لنا القرآن المعجز:

حيث الرزق الوافر، والنعيم الواسع، مع ضعف النفس المألّكة لهذا الرزق والنعيم، كلّ ذلك قد تكون محصلته: الغرور ومن ثمّ الغفلة عن شكر المنعم، والاعتماد على الأسباب الظاهرية ونسيان مسبّب الأسباب !

ثم ها هو منظر صاحب الجنّتين ينظر إلى هذه النعم الهائلة الغزيرة بنفسٍ ملؤها الضعف والجهل والجفاف الروحي والغفلة عن ذكر الخالق الذي كان السبب الأول والأخير في تدفق تلك النعم؛ فيغتر بأسباب العيش الرغيد التي تيسّرت له، ويطمئن إليها ويثق كلّ الثقة بها، ويستبعد أن تزول هذه النعمة العظيمة، ولم يكتف بهذا الغرور في داخل نفسه، بل صار يعلن ذلك فيما بعد مجاهرة وتحدياً^(١)، قائلاً: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾^(٢).

وهكذا يستأثر مشهد البداية بالاهتمام، ويشدّ الانتباه إلى متابعة حال ذلك المتحدي، ثم ينشأ بينه وبين أحد أصحابه حوارٌ يحاول فيه صاحب المؤمن ردع ذلك المتكبر عن غروره وكبريائه، ويخوّفه من عاقبة كفره وغروره، لكنه لا

(١) انظر: القصص القرآني: رؤية فنية، ص ١٠٨

(٢) سورة الكهف: (الآيتان: ٣٦، ٣٥).

يرعوي عن غيِّه، ويصرُّ على ما هو عليه من كفر النعمة الربانية؛ فالأرض كلها متاع عابر منتهي إلى فناء شامل؛ ممَّا يجعل صاحب المؤمن يؤكِّد أنه لا يعترف بكلِّ ما قاله صاحبه، وإنما يقرُّ بأنَّ الوحداية والربوبية هي لله وحده لا شريك له، ويعجب من صاحبه الذي لم يقل حين أعجبته جنَّته: ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ لتحل البركة الإلهية على العطاء.

تختصر الأقصوصة وما حدث بعد ذلك في كلمتين وجيزتين وبعد ذلك تأتي النتيجة التي انتهت إليها، لنرى بسرعة نهاية القصة وقد جلس على أنقاض الجنَّتين، يقلِّب كفيِّه حسرة وندامة، وقد تحوَّلنا إلى مجرد أطلال خربة، وغدا المكان في صورة مغايرة تمامًا لشكله في بداية الأقصوصة، فهناك كان فُحورًا كُفُورًا، أما هنا فضعيف لا قوة له، فيستولي عليه الندم والألم، ويقول في توجُّع وندامة: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) ﴾.

وهكذا يُحيط العذاب من كلِّ حذب وصوب بصاحب تلك الثمار، التي كانت مصدر غرور واستكبار هذا الإنسان الضعيف النفس، ونلمح مكمنا فنيا في الآية؛ حيث يشعُرنا إلحاق ضمير الملكية وهو (الهاء)، بكلمة الثمر، ونسبة هذا الثمر لصاحب الجنَّتين؛ بأن الله تعالى أراد من وراء ذلك رسم صورة مهينة ساخرة من هذا الإنسان الناصر للجميل الإلهي^(١).

ومع إيجاز النهاية بيد أنها احتوتْ تفصيلات جزئية مثيرة متعددة؛ فهناك أنقاض الجنَّتين وهي خاوية على عروشها، وهناك حالة ذلك الشخص يقلب كفيِّه حيرة وندما،

على ما أنفق فيها، ثم هناك الوحدة المؤلمة حين خذله الجميع وبقي وحده لا منجد له!

إنه إعلان المشهد الختامي الأليم المؤثر بما يُلائم منطِق الأحداث التي انتهت إلى العقاب الإلهي بتقرير تلك النهاية الوخيمة وجعلها واقعا مُشاهداً في حياة ذلك الجاحد المتجبر.

(١) انظر القصة القرآنية رؤية فنية، د. فالح الربيعي، ص ١١٢

ولا شك أن تركيز القصة على البداية والنهاية، وعدم توزيع الاهتمام على عناصر قصصية أخرى متعدّدة: قد زاد من قوّة تأثير الأسلوب الحوارى في نفس المتلقى؛ فأصبحت هذه الأقصوصة نموذجًا مؤثّرًا يقدم الحدث ونتيجته المباشرة.. كما نلاحظ أن الخطاب القرآنى القصصى قد استعان في تصوير هاتين اللوحتين الفنيّتين لهذين المشهدين الحيّين بتقنية الحوار المحتدم، إلى جانب توظيف صيغة الاستفهام والتعجب في رسم ملامح المعركة الحوارية بين الإيمان والكفر وتجسيدها في مشهدين فنيين جماليين عبر هذه الأقصوصة المعبرة.

المحور الثانى: السمات الفنية للأسلوب الحوارى في أقصوصة صاحب الجنتين:

لاحظنا أنه لم ينقل الأسلوب الحوارى في هذه الأقصوصة القرآنية تفاصيل كل ما دار بين شخوصها وهما هنا البطلين الوحيديين المؤمن والكافر، وإنما انتقى المقاطع الموحية، والعناصر الحيّة، والقدر المطلوب الذي يفى بالغرض، ويكون أعمق مغزى، ثم إنه سلك في التعبير عن الآراء والمواقف والخواطر، "أسلوب حكاية أقوال الشخوص وأحاديثهم متوخيًا نقلها نقلًا أمينًا لا مبالغة فيها، فصاغ معانيها وفق ما يقتضيه أسلوب القرآن، لا على الصيغة التي صدرت فيها، حتى لو كان المنقول عنهم عربًا، لكي يتحقّق الإعجاز البياني للأقوال المحكية، لا لتلك الأقوال"^(١).

ولعلّ هذا الحوار لم يخرج في مضمونه عن منطق البشر، وعقليتهم، بل نرى بأن الأذهان تستسيغه وتطمئنّ إليه، ولم يكن مما ينفر منه الوجدان، بل تستجيب له المشاعر، بمجرد أن تتلقّف المعاني التي تنتظمها مبانيه المحكّمة، وبذلك فإن الحوار "محركّ للأحداث، ومصوّر للشخصيات، ومبلّغ إلى الصراع، ومؤدّ إلى الهدف، ومظهر للمغزى"^(٢).

إن الحوار إذن، تقنية قصصية بها يحتدم الصراع، ويتأزّم الموقف، الأمر الذي من شأنه تفعيل الحيوية والحركة المكتّفة في تضاعيف الخطاب القصصى، وذلك لا شك أحد المظاهر الفنية فيه، لكن تصنيفه يتم على أساس الأطراف التي تشكّله من خلال علاقة ثنائية تناظرية استبدالية بين شخصيتين تتبادلان الكلام

(١) التهامى نفرة، سكيولوجية القصة في القرآن، ص ٤١١

(٢) بكري شيخ أمين: التعبير الفنى في القرآن، ص ٢٢٢

مع بعضهما بعضا، وهذا يمثل مفهوم الحوار الخارجي بين قطبين^(١)، ويقابله الحوار الداخلي (المناجاة) الذي قد يصطنعه المرء مع ذاته. لذا فإن الحوار "سمة من سمات الوحدة الفنية في القصة القرآنية، والمحاورة بين الأنبياء والمصلحين وبين أقوامهم ضرب من إيضاح الفكرة، وسبيل إلى الغرض الموضوعي، ووسيلة لبلورة الهدف الذي من أجله سيقت القصة، وهو في الحقيقة يكشف عن طبيعة الشخص، ويوضح اتجاهاتهم، وما تنطوي عليه نفوسهم"^(٢).

علاوة على ذلك، فإن الحوار القصصي في القرآن يقتضي التنوع الأسلوبي، باختلاف الشخص، ووفق مواقفهم حتى يكون أبعد أثرا في نفوس سامعيه وترشيدهم بمقررات الدعوة التي يبذلون، ومن هذه الأساليب التي يستخدمها: التقرير والتلقين، والمحاكاة، والتذكير بالنعم (الترغيب)، والتخويف من العقاب (الترهيب)، ودحض التبرير وردّ الأعداء، والتهكم والازدراء الصادر من الله إلى الكفار أحيانا، تسفيها لأحلامهم واستخفافا بعقولهم، ومن هؤلاء إلى المرسلين والأنبياء والمصلحين أحيانا أخرى استهزاء بالحقّ والشريعة والإرادة الإلهية، وكذا أسلوب الوعيد الذي يتبعه غالب الأقسام بغية التردد للدعوة^(٣).

إذن لقد وُفق الحوار في هذا المثل القصصي إلى منتهى حدود التمام في الكشف عن المواقف، وتشخيص التصورات بشتى دوافعها وتوجهاتها أخلاقيا وعقدية، وإبرازها، والتعبير عن ردود الأفعال، فأسهم في بعث المشاهد أمانا، وتصوير الوقائع تصويرا حيا نابضا بغرض إحداث أقصى قدر ممكن من التأثير الروحي والوجداني في النفوس، ومن ثمّ اجتذابهم إلى عقيدة التوحيد، من خلال الإفادة من العبرة التي أخصبها الجدل القائم بين الرجلين، فلا يخفى أثر ونتيجة الوظيفة الحجاجية في فن الحوار من خلال تلك الأقصوصة.

خاتمة البحث:

مهما كتب عن القصة القرآنية فلن يوفيها المؤلفون عبر الزمان حقها؛ فهي بحر زاخر من العبر والتشويق، والإثارة والتأثير النفسي والعاطفي، الذي يبقى

(١) انظر: البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة، محمودي بشير، ص ٨٥

(٢) محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ص ٤١٥

أثره في وجدان وعقل المتلقين خالدا لا يندثر، يستقون منه العبرة، والقذوة الحسنة، وتجنب النهايات الأليمة للمخالفين لفطرة الخالق التي ارتضاها لعباده. والقصة الأدبية على وجه العموم هي الآن سيدة الساحة في الدراسات النقدية والأدبية، بدءا من القصة القصيرة جدا التي بشر بها الأدباء والنقاد المعاصرون، ومرورا بالقصة القصيرة، وانتهاء بالرواية.

بيد أن القصة القصيرة جدا، أو الأقصوصة، في القرآن العظيم لم تتل حقا من الدراسات الفنية الحديثة، لأن تلك الدراسات ركزت على دراسة القصص الطويلة حيث تتضح فيها جميع عناصر السرد، ولأنها تروي الأحداث العديدة التي حصلت للأنبياء مع أقوامهم، مثل قصص الأنبياء: المتمثلة في قصة يوسف، وقصة إبراهيم، وقصة صالح، وقصة نوح، وقصة موسى، وقصة عيسى، عليهم السلام جميعا.

لذلك حريّ بالدارسين والدارسات الالتفات لتلك الكنوز البيانية المتمثلة في أسلوب القصّ السريع الذي سبق به القرآن الكريم كبار الأدباء المعاصرين، بل وفاقهم في روعة الأسلوب، وجماليات ودقة المشاهد التصويرية، وعمق اللغة الحوارية التي تعدّ قدوة لمنظري الحوارات في عالمنا المعاصر.

كما أنه ينتظر من دراسة القصص القرآني أن تؤدي تلك الدراسات إلى إبراز قواعد ومقاييس نقدية في البناء الجمالي للقصة القرآنية بجميع أنواعها، لأننا سنجد أنها مقاييس عالية الجودة، يمكننا استثمارها لقيام رؤية نقدية إسلامية، تقوم على السمات الفنية والبيانية الخاصة بالقصص القرآني، منعا من الانسياق خلف الإفرازات المتعددة والمتباينة للنقد الأدبي المعاصر التي قد تخطيء في إعطاء البيان القرآني حقه الجدير به. والحوار البناء البليغ المؤثر ليس من أهم العناصر القصصية فحسب، بل علاوة على ذلك صارت تنادي به جميع الأمم المتحضرة، التي سبقها القرآن العظيم منذ قرون زمنية، فما أجدنا أن نعيد الاهتمام بالنظر للطرائق الحوارية الرائعة السوية المتعددة المتنوعة التي حفلت بها القصص القرآنية القصيرة والطويلة معا حسب مقتضيات البحث والدراسة، وذلك من أجل جعلها نبراسا مضيئا في جميع المجالات والمحافل.

مصادر البحث ومراجعته:

١. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ط٢، عام ١٩٧٩م، دار إحياء العلوم، دار الفكر، بيروت: لبنان.
٢. باقازي، عبدالله أحمد، القصة في أدب الجاحظ، جدة، شركة تهامة للنشر، ط١، ١٤٠٢هـ.
٣. بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٣٩٩ / ١٩٧٩.
٤. التهامي، نقرة، سكيولوجية القصة في القرآن، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م.
٥. جرار، مأمون فريز: خصائص القصة الإسلامية، جدة، دار المنارة للنشر، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦. الخطيب، عبدالكريم، القصص القرآني، في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، ط١٩٧٥م.
٧. الدالي، محمد: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، القاهرة، مؤسسة "آمون" للطباعة والتجليد، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٨. ديماس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٩. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، معجم مختار الصحاح، بيروت، طبعة المكتبة العصرية - الدار النموذجية، عام ١٩٩٩م.
١٠. الربيعي، د. فالح، القصص القرآني رؤية فنية، بغداد، الدار الثقافية، ط١، عام ٢٠٠٢م.
١١. رينيه ويلك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، سوريا، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٩٧٢م.
١٢. الطراونة، د. سليمان، دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، الأردن، عمان، عام ١٩٩٢م.
١٣. علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م.

١٤. فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، بيروت، المؤسسة العربية، ط١، ١٩٩١م.
 ١٥. فاطمة عيسى جاسم، غائب طعمة فرمان روائيا، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.
 ١٦. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، الأردن، دار النفائس، ط٣، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م.
 ١٧. ليون إيدل، القصة السكيولوجية، ترجمة محمد السمرة، بيروت، المكتبة الأهلية، ١٩٥٩م.
 ١٨. محمودي بشير: البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ماجستير - جامعة وهران
 ١٩. مفتاح، د.محمد، دينامية النص، تنظير وإنجاز، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م.
 ٢٠. مخلوف، د.عبدالرؤف الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م.
 ٢١. محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة،، الكويت، دار النحوي العلمية، ط١،
 ٢٢. معجم ألفاظ القرآن الكريم، نشر مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
 ٢٣. النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن: الفصل السادس عشر: القصة القرآنية، دار عالم القرآن - حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
 ٢٤. نجم، محمد يوسف، فن القصة، بيروت، دار الثقافة، ط٧، عام ١٩٧٩م
 ٢٥. هيرش، محمد أمين، السرد في المقامات النظرية، رسالة دكتوراه، جامعة كويه، كلية اللغات، العراق، ٢٠٠٧م.
- تم بعونه تعالى.